

عن الخلافات التركية- الأميركية

■ **حميدي العبدالله**

تحدث وسائل إعلام غربية وعربية عن خلافات بين تركيا والولايات المتحدة، ووصل الأمر إلى حدٍّ أنّ صحيفة «واشنطن بوست» تحدّثت عن فشل التحالف الدولي الذي تقوده الولايات المتحدة ضدّ «داعش». بسبب هذه الخلافات ومن خلال ما يكتب ويُنشر ويُبث في وسائل الإعلام الغربية وال عربية يتراءى لكثيرين وكأنّ تركيا تحوّلت إلى دولة ممانعة متردّدة على سياسة الإملاءات الأميركية، فهل واقع الأمر هكذا؟ وهل ثمة خلافات بين الولايات المتحدة وتركيا؟ وهل وصلت الخلافات إلى حدّ تمرّد تركيا وخروجها عن الفلك الذي كانت تدور به منذ الحرب العالمية الثانية وحتى الآن؟

أولا، لا بدّ من التأكيد على أنّ هامش الخلافات الموجود الآن بين الولايات المتحدة وتركيا، يشبه هامش الخلافات الذي ميّز العلاقات السعودية. الأميركية بعد تراجع الإدارة الأميركية عن توجيه ضربة عسكرية إلى القوات السورية في خريف عام 2011، وهذا الهامش أتاح الصراع داخل النخبة الأميركية الحاكمة بين التيارين، الأول يخبثي تورط الولايات المتحدة من مزيد من المغامرات العسكرية الفاشلة، والتيار الثاني يدعو إلى هذا التورّط بمعزل عن التبعات المترتبة عليه، وبفعل هذا الصراع تولد الهامش الذي أتاح للسعودية الظهور بمظهر «المتردّد» على السياسة الأميركية في خريف العام الماضي، ويسمح اليوم لتركيا حزب العدالة والتنمية، الظهور بالمظهر ذاته.

ثانيا، لا تملك تركيا آية مقومات تؤهلها للتمردّ على الإملاءات الأميركية، فهي ليست شريكا تجاريا وسياسيا للولايات المتحدة والغرب أكثر أهمية من روسيا، ولكن عندما تعارضت السياسات الروسية مع السياسات الأميركية لم تتردّد واشطن عن فرض العقوبات ضدّ روسيا غير مكرثة لنتائجها وتداعياتها السلبية، وتركيا لديها ثغرات كثيرة اقتصاديا وسياسيا تؤهل الولايات المتحدة لإركابها وإرغامها على الامتثال لأوامرها، وتركيا أقلّ منعة بكثير من روسيا في مواجهة أي ضغوط يمكن أن تمارسها الإدارة الأميركية وحلفاؤها الغربيون وفي المنطقة. وبالتالي فإنّ تفسير «تمرّد» أنقرة وعدم انضباطها في المخطط الأميركي والذي يزعم البعض بأنه يهدّد التحالف ضدّ «داعش» هو أمر ثمره عاملين، الأول، صراعات الإدارة والنخبة الحاكمة حول الخيارات التي تمّت الإشارة إليها أعلاه، الثاني، قناعة الإدارة الأميركية أنّ تركيا لم تهذّب مصالح الولايات المتحدة، ولا تشكل خطراً على هذه المصالح، وليست في وضع يؤهلها لاعتماد سياسات مستقلة تتعارض مع السياسة الأميركية، كما هو حال روسيا على سبيل المثال، ولذلك لم تقم واشطن بأي إجراءات من شأنها الضغط الفعلي على أنقرة للانضباط في الاستراتيجية الأميركية، وإذا كان ما هو قائم الآن بين أنقرة وواشنطن لا ينطبق عليه وصف سياسة توزيع الأدوار، إلاّ أنه أيضا لا يمكن وصفه بالخلاف الجدي، بل هو اتجاهات داخل المعسكر الواحد، لا أكثر ولا أقلّ.

تركيا وقطر صنعتا

«**داعش**» و**«النصرة**» لصاحبتها أميركا

■ **حسام عيسى**

كانت «القاعدة» حتى العام 2010 كائناً كائناً موجوداً في العراق وأفغانستان تحت ضغط الملاحقة، ولم يكن لأحد أن يتوقع أن تتحوّل بمولودها الجديدين، «النصرة»، و«داعش» إلى اللابع الرئيسي على مسرح الشرق الأوسط.

كانت قطر كدولة صغيرة متوتعة على ضفة دعم المقاومة والصراع مع السعودية أولويتها، وجزيرتها القناة الأولى الحميوية لدكت جمهور الإسلام، وكان الطابع الإسلامي للقناة لا يشير إلى خليفة حزبية بعيدها، فقد كانت خليطاً للإسلاميين بعضهم من جذور «الإخوان المسلمين» وبعضهم الآخر على تماس مع «القاعدة»، وكان اهتمامها بـ«القاعدة» يبدو مهنياً من جهة وتكايه بالأميركيين من جهة أخرى، فيما تبدو العلاقة بالقاعدة الأميركية والمكاتب «الإسرائيلية» من ضرورات الواقع السياسي.

كانت تركيا الدولة «الإسلامية العلمانية» الوحيدة القوية الصاعدة اقتصادياً، الناجحة بافتقائها على سورية وإيران، والمعاض على الألفيني في وقت واحد، تبدو كحاضن لفلسطين من يوم قضية استول مرمرة، وبتساوي فك الحصار عن غزة واللغة العالمية الثيرة في وجه «إسرائيل»، و«العلاقة بـ»الإخوان المسلمين» كانت نوعاً من تواصل مفيد لنقل عدوى العلاقة الجيدة بسورية وإيران، وأضعافا للحكومات العربية الدائرة في فلك أميركا والخانعة أمام «إسرائيل».

عام 2010 تزامنت ثلاثة تطورات باتت اليوم معلنة وفي التداول:

الأول هو اجتماع «الإخوان المسلمين» بالأميركيين في أنقرة بشراكة تركية فطرية لمناقشة حال مصر ومستقبلها بين التورث والتعويض بعد مبارك، وعرض الإخوان بضمانة تركيا وقطر تسليمهم مصر مقابل تعهدهم بحماية «كامب ديفيد» وضبط غزة، والتعاون للضغط على سورية.

الثاني هو اجتماع فراتفقورت لقادة الأطلسي الذي ترأسه باراك اوباما وقدم خلاله لزملائه المعطيات التي تقول إنّ الشرق الأوسط ساحة عمل حيوية، وإنّ أميركا لم تعد قادرة أن تتحمل وحدها عبء التصدي للأحداث، وتقتر يوبها تكليف تركيا بالجهوزية للمنطقة السورية، وفرشاً بالمنطقة الأفريقية ما عدا مصر والسعودية وإيران، أما «إسرائيل» فتبقى مسؤوليات أميركية حصرية.

الثالث هو بداية ما سُمي بالربيع العربي بأحداث عرفت مثلها تونس من قبل في منطقة الجوف، مع إضراب عمال المناجح وغاب عنها الإعلام، لتحول في هذه المرة بقوة حضور «الجزيرة» و«الحناق» العربية» بها إلى تحركات متواصلة ومتسارعة، تتوقف معها برامج القاتنين ويصير قورا العنوان شعب يصنع ثورة وتتواصل الحفلات في مصر واليمن وتبدو حكومتا قطر وتركيا تقودان ثورة الشعوب على الحكومات الموالية لأميركا.

بدأت العدوى في ليبيا وامتدت إلى سورية منتصف العام 2011، وتركيا وقطر ومعهما حماس هذه المرة، وحكومتا تونس ومصر هذه المرة أيضاً في خندق الدعوة لإسقاط الحكمين الليبي والسوري ولو اقتضى الأمر تدخلاتلپسيا بتحقيق في ليبيا ويتضمنى في سورية.

تكشفت حكومتا قطر وتركيا عن رأس الجسر لمشروع أميركي جديد عنوانه تسليم الحكم في المنطقة لـ«الإخوان المسلمين»، وبدت السعودية الشريك في معركتي سورية وليبيا على ضفة أخرى في مسألة «الإخوان».

فشل «الإخوان» ومعهم تركيا وقطر والسعودية وفرنسا وأميركا بإسقاط سورية فسقطوا في مصر الموقع الأهمّ في العالم العربي، وتراجع الدور التركي القطري لحساب السعودية. ظهرت «جبهة النصرة» ومن ثم تنظيم «داعش» من رحم «القاعدة»، ولم يعرف سبب تغيير الأسماء، وبدا بقوة حجم العلاقة القطرية بـ«الصرة» كما العلاقة التركية بـ«داعش».

«الإخوان» يقودون «القاعدة»، وتركيا وقطر في قلب لعبة الإخوان والقاعدة، والمفردات الجديدة تغيير أسماء وثواب لـ«القاعدة»، وأميركا ترى وتسمع وتصمت او تشجّع أو تعترض بخجل.

اليوم «داعش» يروّض تركيا بجعلها تحت الضغط الأميركي، بعدما روّض البرزاني في ليبيا، ويستنزّف أكراد سورية المستقلين وينتقلهم إلى تحت عباءة البرزاني، ويوقف عقدة لإيران وسورية وحزب الله، ويبرز بداعي الخوف سحب الودائع السعودية والخليجية للتسلل والحماية، بينما «الـنصرة» برعاية فطرية زاد لامن «إسرائيل» برعاية فطرية وقوة استنزاف لحزب الله وسورية على جبهاتها السلسلة الشرقية بين لبنان وسورية وعلى حدود فلسطين.

انتهى «الربيع العربي»، وخلصت الثورة، وجاء وقت الحقائق… وأحجام تركيا وقطر والسعودية تتحدّد تحت جزمة «داعش» و«النصرة» بعدما صار الأميركي حاضرا بدير بنفسه كل التفاصيل.

«توب نيوز»

فيلم أميركي طويل

دور «إسرائيل» في أحداث 11 أيلول عام 2001 و2001 «القاعدة» كان أقرب إلى خرافة، وتغاضى المحاربين الأميركية رغم معرفتها ما كان يصعد.
ثبت من يوبها أنّ «القاعدة» أكفأ جيش يعمل لحساب أميركا و«إسرائيل».

بعدما قدمت ميزرا لغزو العراق وأفغانستان صنعت «القاعدة» الفتنة في العراق، والنشل صناعة الجيش الأميركي.

تغيير الأسماء لم يكن مفهوماً، فلماذا «داعش» و«النصرة» وليس «القاعدة»؟ في علم النفس البسطة يتذكرون الأسماء ويرطون مشارعهم بها، واسم «القاعدة» عدوّ قاتل، بينما «النصرة» يمكن أن تكون صناعة، رغم أنها وكيل «القاعدة» المعترف به.

قسمت «القاعدة» قسمةين… «داعش» متوحش ميزر للتدخل، و«النصرة» معتدل للتحالف المعتلن.

كل خصم يجب استنزافه يتولاه «داعش» وكل حليف يجب ترويضه «داعش» أيضاً، وكل حليف يجب مساندته «النصرة» تنجده.

كان الشيء الذي لا يصيقل لقبول رواية دور «إسرائيل» في 11 أيلول هو رفض تحيّل علاقة بين «إسرائيل» و«إخوان المسلمين».

وزير حرب «إسرائيل» يعلن رسمياً عن التعاون مع النصرة «القاعدة»، فماذا تبقى لنصرد؟

بعين اليوم يمكن حضور الفيلم الأميركي الطويل.

البناء

نهاية زمن حصان الخشب وبداية زمن عقارب العنب... العربي الجديد

العميل الرخيص والعبد الذليل الذي يتسوّل الاحتلال لأنه عاجز ولا يقدر على إنجاز ثورة شعبية شاملة بيده بسبب فشل نخبه وخيبته في إطلاق ثورة بحجة القمع والديكتاتورية وعسكر الأنظمة، فيما كل شعوب الأرض حاربت الديكتاتوريات من دون معين وانتصرت... العربي الجديد هو عربي فقير وضيق كذاب... يقتل أسراه أمام ذويههم ويصلب جثث الشبان بعد أن يعطيمهم الأمان ويرتكب المجازر أمام المدارس ويتسوّل على أشلاء الجثث المعونات والصدقات واللجوء... العربي الجديد يترك أرضه ومزارعه وحقله ليسكن في أقفاص تركية للأغنام يستمها خميمات ويستوطن محميات صخرافية في الأردن لا تسكن فيها الغنالب... العربي الجديد شخص مسكون بالمذهبية ومهووس بنسب الطوائف في كل شارع وفي كل دائرة، ولا يعنيه البحث عن الكواكب بل التراقض بالمذاهب والحدق وأسواء المؤمّنين القديمة التي تعبت من نبش قصصها ورواياتها وتبحث عمّن يدفن هذه القصص بكرامة...

وهذا العربي الجديد يتحوّل إلى مقاتل مرتزق يحمي حدود «إسرائيل» ويرضخ من دنياه ويسهر في حدائقها الحنوبية كتلك الحراسة الأيمن... انه يتجلى في نموذج متفقين كتبوا عن الدين والعقل ثم اكولهما مثل الآلية التمر... العربي الجديد يمثله برهان غليون الذي كان يكتب عن العقل والمجتمع الإنساني والشرقي ليسمح غليون إخضاعها بالمذاهب أكثر من أبي بكر البغدادي... فهو يتحدث بالتفصيل عن المذاهب الكافرة والتي تدفع لمن كفرها ودافعها عن الكفر وبدل كلمة مجتمع التي يستعملها «السوربونيون» العقلاء يستعمل برهان كلمة شيعة وسني وعلمي ومسيحي ودرزي بطريقة بذئية وصلت من الاحتياط انه استثمر مجزة أطفال مدرسة عنكرة تحريض الطوائف والكيد لها والشماتة بها على صفحات من «العربي الجديد»، بل وانتصب واقفا على الجثث الصغيرة كانها منصات لحقل خطابي يحرض به طائفة على نفسها... فقد فتسّخ عقله كما فتسّخت ثورته ومجتمعه الثوري... ووصل فتسخه وندائه انه يكتب عن إيران وكانه عضو كنيسة «إسرائيل»... فهو مهووس بالهجوم على إيران وروسيا وحزب الله والشيعه وكل من يعادي «إسرائيل»... العربي الجديد هو مشروع لخلق الكلب «الإسرائيلي» الجديد... وما أكثر

كلاب «إسرائيل»!

أهمّ عوامل الصمود السوري كان وجود قوى اجتماعية فاعلة شديدة الوطنية بين جميع الطوائف هدأت من انفعال الجميع وأمسكت الخيوط التي كادت تتبعضر وأعدت بناء الهوية الوطنية الجامعة تدريجياً رغم العاصفة الهوجاء

في تجربة الربيع العربي وجدنا أنفسنا فجأة أمام العربي الجديد يشحمه ولحمه الفاسد ورائحته النتنة وأنفاسه الجسبية وقصص أكاذيبه... ونياحه «الإسرائيلي».... فقد كنا نواجه جمهوراً تمّ تجهيزه نفسياً في الإعلام اللجيجي خلال سنوات ليكون نسخة من العربي الذي تزيده «إسرائيل» فضلاً على قماس ثوراتها وعلماها ونهريها من الفرات الى النيل... فالإعلام قام خلال سنوات بتغذية هذا العربي الجديد نفسياً بالحدثين عن الحرية والقمع وعن الظلم والحلم المفقود والأرض الموعودة... ولكن الحديث كان عن هذا الظلم والفساد في الجمهوريات العربية فقط (ومن يتابع برامج فيصل القاسم ونبأها على الجمهوريات العربية يعرف ما أقول) وأعقل تماماً القمع والفساد في الممالك والمشيخات وحقول النفط المحتلة... وهذه الممالك هي قلب الداء وقلب الفساد وفيها من الأسرار ما يشيب له الولدان... وفي نفس الوقت سنّ هذا الإعلام مقولة «الإسلام هو الحل»... وفي العقل اللاواعي اجتمعت تجرية الظلم في الجمهوريات الديكتاتورية مع الأمل بالحل الإسلامي)... ولذلك كانت الموجة طاعية ولم تمس مملكة ولا إمارة... وكان هناك جمهور يعتقد انه وإن كان لا يؤمن بالحل الإسلامي إلا انه متشبّث بشكل عامه ببقاء هذا بريد إسقاط الظلم الذي تجسّد في الجمهوريات والقادة...

وصار وجود أي قائد هو العدو الأول للجمهور بدل أن يُعاد النظر في كل تجربة حكم وتقويمها... فعيد الناصر عدو والذافي عدو وصدام عدو والأسعد عدو... فيما كان الأمراء الفاسدون و أبناء الفاسدين والملوك الأمييون وملوك السفلياس أصدقاء الشعوب... وصار جون ماكين صديقاً... واربوغاوا صديقاً... وهولاند صديقاً... ونتتياهو صديقاً... عملية تفكيك القاعدة صعبة جدا، ولكن عملية تركيب قناعات جديدة مفصلة على مفاس العدوات أكثر صعوبة... ومع هذا فإن مشروع «العربي الجديد» نجح في خلق نخبة العربي المنثال... العربي الحصين...

زيناوا المرجة... سورية عروس المجد



وجاء هذا العمود والمجسّم تذكراً لتدشين الاتصالات بين المركز دمشق والمدينة العنورة والبلاد الإسلامية في أواخر العهد العثماني متزامنا مع إطلاق الخط الحديدى المجازى من مدينة دمشق ومحطة القطارات المجاورة لساحة المرجة، وقد أقيم العمود والنصب التذكاري سنة 1907 أيام الوالي العثماني حسين ناظم باشا ولا يزال إلى اليوم، حيث كانت دمشق، والتي أطلق عليها العثمانيون اسم «شام شريف» من أهمّ المدن في الإمبراطورية العثمانية بعد استطنبول.

وفي أواخر العهد العثماني كانت ساحة المرجة مقراً لعربات النقل التي تجرّها الخيول، وكانت هذه الخيول تلقف إلى الجانب الشرقي تحت ظلال شجيرات المصصاف حول حوض ماء مرتفع قليلا

أراء

العربي المتصهين... أي الكلب الصهيوني الذي ينجح ويعض اعضاء «إسرائيل» فقط...

في النموذج السوري نلاحظ أنّ العربي الجديد (العربي الصهيوني) حاول أن يخرج من بين فئايا وتشققات أحدثتها عملية مركزة لخلخلة الدولة السورية بدأت في التسلل من شرح يتّم إحدائه بين أركان الدولة والشعب... أولا بالتركيز على أنّ قلب القضية الرئيسية هو إعادة حق مسلوب «لطائفة كبيرة» واسترداد من «طائفة صغيرة» تسرقه (تماما مثل ما قالته المعارضة العراقية عن الحكم أيام صدام حسين)... وكانت الغاية إطلاق حرب أهلية قاسية لا ترحم يقدر الخزياء أنها ربما مكثت سلتهم ما لا يقل عن ثلاثة إلى أربعة ملايين سوري خلال 3-5 سنوات، وبأنها ستفوق مجازر رواندا في حجمها التي حسدت 800 ألف قتيل في أسابيع... وهذه القديرات الهائلة من الموت كانت واقعية إلاّن أنهار الدولة السورية سليله أنهار الجيش... وهو جيش من أكثر الجيوش تسليحا... وهذا يعني توزع ترسانة هائلة من السلاح في مخازن يملكها الجيش وبيّن ضحرات ملايين قطع السلاح وملايين الأطنان من المتفجرات بين الناس والطوائف... وستتوزع آلاف البوابات المسروقة في شوارع المدن وستنشج حرب مدن بالصواريخ، ويقدر أن تسقط عشرات آلاف الصواريخ والقذائف على رؤوس الناس، وسيستخدم السلاح الكيماوي بدرجة من الدرجات بسبب كمّ التحريض الديني والشحن المذهبي المتناظر... ولن تستثنى طائفة من هذا الجحيم وستكون ملايين الضحايا هي التي سترسم حدود التقسيم النهائي لسورية التي سنتنتهي... إلى مرق دويلات... والفارق بين أنهار الدولة العراقية وبين الستايريو السوري هو أنّ الجيش الأميركي و«الناتو» كانا في العراق على الأرض، وكان يمكن التحكم في مسار الصراع حرصا على الجيش الأميركي، أما هنا فإنّ الجنون سينفلت ولن يقترب منه أحد حتى يصيبه التعب وتفتد ذخائره... كما أنّ طليعية التحريض في سورية كانت تعني أن تصل الحرائق إلى لبنان والعراق بسرعة، وستستردج إيران وتركيا وغيرها كما تجلى في مشروع «الإخوان المسلمين» المرصيين في خطاب مرسي التي أعلن الجهاد...

المشروع لم يحقق النجاح... وهناك عمل متواصل لدراسة أسباب فشل المشروع «موقتا»، وهناك أبحاث وعناوين لكثير من الدراسات والتحليلات لفهم تعقيدات الصمود السوري... البعض يعزوه إلى الحلفاء ودعمهم القوي والبعض يعزوه إلى عقيدة وتربية الجيش... والبعض يصرّ على أنّ طائفة واحدة بعينها ببسالتها هي التي أوقفت هذا الهجوم بالنصافها بخوفها من البديل وهي التي تحت سورية والشرق كله بدمها... لكن الحقيقة هي أنّ الصمود السوري كان بسبب عوامل عديدة لكن أهمها كان وجود قوى اجتماعية فاعلة شديدة الوطنية بين جميع الطوائف هدأت من انفعال الجميع وأمسكت الخيوط التي كادت تتبعضر وأعادت بناء الهوية الوطنية الجامعة تدريجيا رغم العاصفة الهوجاء... ولا يمكن لنصر هذا الجحيم أن يحققه طرف من دون بقية الأطراف... الحصان الخشبي الذي تكسر في سورية لم يعد يخدع أحدا، لكن العقل النشيري لهذا الإقفوان لم يتوقف عن اجتراح الطرق لتفكيك المجتمع... وتلاحظ عملية رصد الإعلام المعادي للحصان الخشبي أنّ هناك تحوّلا في النصف الإعلامي والنفسي وتركيزا على هدف مغاير بدا يعمل عليه منذ أشهر... تحليل المقاييم و«عناييتها الذي تقويم به مجموعة من الخزياء في علم النفس بدأ يرصد تكيفا للهجوم على بقطة أخرى... لم تعد القضية هي طائفة تسرق السلطة وطائفة تريد استرداد المسروق... بل هناك تركيز على لسف كل طائفة من الداخل عن ارتداد مقولات وشناعات تحرّض كل طائفة على نفسها وتستثمر في أوجاعها الخاصة، ملمعا تفعل مقالات «العربي الجديد» من شماتة بضحايا الطائفة من لون واحد في مدرسة عنكرة وإغفال كل ضحايا السوريين الآخرين لإعطاء انطباع أن من يموت هو من لون مذهبي واحد يدفع ثمن الصمود وحده، وأما آلاف السوريين الذين ماتوا في دمشق وحلب وادلب وجرمانا ومعولوا والرقبة ودير الزور بالمجازر والسيارات المفخخة وآلاف قذائف الهاون فليسوا سوريين من جميع الأطراف، ولا يُحتسب صومدهم وتضحياتهم...

خدعة يشبّهها الكثيرون بالعنادية الحلوة التي تحبّي فيها العقارب... فخدعة السمّ في العسل جعلت الناس تعف عن تناول العسل الذي لم يعد مامونا... لذلك يقدم صاحب فيها الجديد (أو صاحب الكلب لتقديم العقارب السامة) في عناقيد العنب... أي أنّ تلك الألف العروضة في العربي الجديد ليست عسلا يتجنّبها الحريص بل عينا يعتقد القارئ انه يمكن أن ياكله بعد غسله من الغبار والأوساخ والأسماء الثورية العفنة... ولكنه لا يدرك أنّ بين حبات العنب يمكن غرق قاتل... بلذغه في يؤؤذ عينيه ويغرز سمّه في عقله... في تكرر لقصة سرير بنت الملك الشهيرة في آثار درعا السورية...

انها نهاية زمن حصان طروادة... وبداية زمن عقارب العنب... زمن العربي الجديد... زمن كلاب «إسرائيل»...

ولكنه التحدي بين كلاب «إسرائيل»، وبين أحرار يريدون بناء شرق لا يوجد فيه كل واحد لـ«إسرائيل» ينتشر السعار وداء الكلب... شرق لمواطن جديد لا ياكل العنب المتدلي من بطون أحصنة الخشب... وثقافة الخدع... وساسة الشعب... ومذاهب العنوب... وبيانات الخشب... ولا تخدع العقارب في عناقيد العنب...



أو الفيضان، إثر الأمطار الغزيرة التي كانت تغمر الساحة والأسواق المجاورة. وكان شهر بردي في بدايات القرن التاسع عشر يتفرّع في هذه الساحة إلى فرعين يحتضنان جزيرة صغيرة غنية بالأشجار، وحاليا وبعد أن قل منسوب نهر بردي لم يبق من الساحة سوي ممزّ النهار.

أهمّيّتها الثقافية

تضمّ المرجة عشرات الأبنية المختلفة ما بين العمارة القديمة والحديثة، الشرفية منها والأوربية، وشهدت المرجة تأسيس فنادق دمشق الحديثة أوائل القرن الماضي بعد انتهاء دور الخانات، كما عرفت المرجة أول دور للسينما في دمشق، إذ تأسست فيها سينما زهرة دمشق عام 1918 وأغلقت سنة 1928 فمّ تأسست سينما «الإصلاح خانة» عام 1921 وسينما «الكوزموغراف»، ومن بعدها صارت سينما: (غازي وسترنال وفزاروق والنصر)، كذلك انتشرت في الساحة المقاهي، ومن أقدمها «مقهي ديمتري و«مقهي الكمال» و«علي باشا» و«السورد»، وشهدت ولادة المسارح المشقية، ومنها مسرح «زهرة دمشق و«النصر» ومسرح القوتلي» الذي تأسّس في بدايات القرن العشرين واتّهى بحريق سنة 1928. وكان يغني فيه مشاهير المطربين والمطربات. وفي عهد سلطان عبد الحميد أقيمت في المرجة مبان حكومية جديدة ضخمة وفق مرائب خاصة بكل مدينة تنطلق منها وتأتي إليها سيارات الركوب الصغيرة، فكان جميع السوريين القادمين إلى العاصمة دمشق يحطون بالتراموي إلى ساحة المرجة قبل أن يستقلوا التراموي أو حافلة النقل الداخلي في ما بعد ليذهبوا إلى مقاصدهم في العاصمة. وقد انتهى دور ساحة المرجة بشكل نهائي كمرآب رئيسي للمدينة مع سبعينات القرن الماضي حيث تأسست مراكز انطلاق حديدية.

وقد شهدت ساحة المرجة طوفان نهر بردي المتكرر الذي كان يُسمى الزّورة

تشرّب منه خيول تلك العربات وهي معدة لنقل الناس بين الأحياء وخاصة المرضى منهم. وفي ما بعد تحوّلت المرجة إلى مكان لانطلاق حافلات النقل الجماعي إلى المدن السورية وإلى حارات دمشق وريفها، وشهدت ساحة المرجة كذلك أول انتشار للأتمتة الآلية بدقة الترام أو الحافلة الكهربائية «الترامواي» إليها سنة 1907 وسيرده في شوارع مدينة دمشق، ومن ثمّ السيارة التي دخلت إليها عكف انتهاء الحرب العالمية الأولى سنة 1918، وكان المدشقيون يسمونها شفاقًا حتى الموت بتهمة خيانة الدولة العلياّ، ثمّ تقدّ الحكم في ساحة المرجة التي سُمّيت في ما بعد بساحة الشهداء، لتكون هذه الساحة شاهدا على اقتطع جريمة ترتكب بحق نخبة من رجالات العلم والفكر والسياسة، كما شهدت المرجة أحداثا سياسية أخرى مهمة، ومنها اعدام أبطال الثورة السورية الكبرى عام 1925 الذين كانت فرنسا تلقى بجثثهم في ساحة المرجة بغية نشر الرعب في النفوس.

■ **لورا محمود**

دمشق مدينة التاريخ والحضارة والحياة النابضة بالعشق والأمات والتناقضات، مزدهمة وخالية، غنية وفقيرة، هادئة تلامس فيها الشمس لحظة غيائها، صاخبة يهبر منك هدوء صباحها سرعباً لحظة استيقاظها بشوارعها وجاراتها وأقزتها وساحاتها التي ما زالت إلى اليوم حضارة بأهميتها وموقعها، وأيضا كمنلقتى للدمشقيين بمختلف مشاربيهم، فساحة المرجة صورة حية للاكتظاظ السكاني والأزدحام الكبير فهي مكان لا يعرف النوم، خليط ما بين القديم والحديث، الشعبي والفخم، الوطني والإجني، كان البعض يطلق عليها اسم الجزيرة أو بين النهريين، ومن ثمّ أطلقوا عليها المرجة بسبب غناها بالأشجار، هي مكان يغخ بجمال الحياة وقسوتها.

ساحة المرجة، و ساحة الشهداء، كانت شاهدة على عزة من صمدوا وظلم

من تحبّروا، ففي أواسط شهر آب من عام 1915 أنلى جمال باشا السفاح القبض

على عدد من المفكرين من سورية ولبنان بثمة تعاونهم مع فرنسا الاستعمارية التي كانت تعادي الدولة العثمانية آنذاك، وبعد محاكمة سورية حكم عليهم بالإعدام شنقا حتى الموت بتهمة خيانة الدولة العلياّ، ثمّ تقدّ الحكم في ساحة المرجة التي سُمّيت في ما بعد بساحة الشهداء، لتكون هذه الساحة شاهدا على اقتطع جريمة ترتكب بحق نخبة من رجالات العلم والفكر والسياسة، كما شهدت المرجة أحداثا سياسية أخرى مهمة، ومنها اعدام أبطال الثورة السورية الكبرى عام 1925 الذين كانت فرنسا تلقى بجثثهم في ساحة المرجة بغية نشر الرعب في النفوس.

■ **نارام سرجون**

لو ادرك آغاممنون الإغريقي الذي اقتحم طروادة من جوف حصان خشبي إنّ حصاره الذي دام عشر سنين لطرودة لم يكن يحتاج الا ربيعا طرواديا يبتني بداعش الطروادية وأبي بكر الطروادي... لكنا عرفنا نفسه عناء بناء حصان عرلاق من خشب وحشوه بالمقاتلين الذين يتسللون لبلا من بطنه وهو في بطن طروادة... بل كان استعجاب بعض الكتاب الإغريق والفلاسفة والشعراء ورجال المعابد الذي سيخلخلون أسوار طروادة من الداخل... أي من داخل رؤوس الطرواديين... ويرفعون شعار (الشعب يريد إسقاط النظام).

كان آغاممنون يحتاج بدلا من المقاتل الشجاع أخيليس شخصاً مثيراً مقلّ عضو الكنيست «الإسرائيلي» جاسوس الجواسيس عزمي بشارة... ومتشقفا على الاسوار مثل خالد مشعل... ووثنيا يذعي الإسلام مثل يوسف القرضاوي الذي معبوه «الناتو» والأمراء والمال المسلمين» وكنية مثل برهان غليون وأمثاله سيضربون المحاربين الذين يقفون على الاسوار في ظهورهم لأنهم سيقنعون الجنود وفرسان طروادة بأنهم يداؤون عن عرش ملك وليس عن أسوار ومدنية وشعب ومستقبل وأجيال ودهاء... وإنّ جنود آغاممنون الغزاة لا يريدون لهم سوى الحرية وتحريرهم من سجنهم في طروادة...

ليس هناك من حصان خشبي خطر دخل علينا مثل حصان خشبي اسمه... عزمي بشارة... وأنا على يقين أنّ جيلا قادمة من المؤرخين سيستبدلون عبارة حسان طروادة ويستخدمون عبارة (عزمي سورية) التي تبين أنه تمثال فارغ عرلاق من الخشب لمفكر يخبثي في جوفه جنود العدو... فأحداث التاريخ وزموزه ودروسه وعظائمه تنسخ بعضها بنفس مبدأ الناسخ والمنسوخ في الدين... عندما تلغي آية حكم آية أخرى أو يعطل حقايقا من عرش ملك وليس عن أسوار ومدنية وشعب ومستقبل على الإطلاق بل يغيّر عظائمه وأمثاله وقصصه... المشكلة أنّ التاريخ سيحتار أي حسان خشبي سيختار لهذه المهمة في إنزال قصة حسان طروادة العريقة من موقعها في الأمل والاروس بعد مئات السنين من ترعيّتها على عرش الخديعة السياسية الجماهيرية... هل سيكون البديل «عزة سورية»... أم «مشعل سورية»... أم «حماس سورية»... أم «اردوغان سورية»... أم «حمد سورية»... أم... أم...؟ بحار المرء فعلا... وسبحان التاريخ وكنيته سحتحات... فالساحة أمثالات بخيول الخشب... ومقفي الخشب... وسياسي الخشب... وأئمة الخشب... وجماهير الخشب...

منذ فترة أطلق الحصان الخشبي «الإسرائيلي» صحيفة سمّأها «العربي الجديد»، ولا شك أنّ الكثيرين صاروا ينتظرون على العربي الذي انبثق من بين شنتبات عزمي بشارة الكبيرة... بأنه العربي فاقذ الذكرة العفصامي... وفاقد للوطنية... والمتبدل إنسانيا والمليء بالكرهامة لنفسه وجيرانه وبالحدق على كل من لا يسير معه... العربي الجديد الذي بناه عزمي بشارة ومجموعته هو العربي الذي نسى فلسطين والأقصى والقدس وقصص وكالة اليهودية ومؤتمر بال وتيودور هرزل... وصار ممثقا بالحروب الأهلية والدينية والتصعب ومفرداته هي مفردات طائفية متخلفة جدا... ونهجه القومي هو الانتحار الذاتي... والعربي الجديد استبدل بقصص صبرا وشاتيلا وبحر القبر ودير ياسين قصص أطفال درعا وأظافرهם المقدسة وكذبة حمزة الخطيب وبابا عمرو وثورة الرمادي والآنين... ونسى هذا العربي أرثيل شارون ومناحيح بيغين وليفي اشكول وموشي دايان وغولدا مائير، ونسى «الهاغانا»، وجعل يشتم صدام حسين والذافي وجمال عبد الناصر وحافظ الأسد ويشار الأسد... بل ويشتم حسن نصرالله أنظف مقاوم وأشرف مجاهد في الشرق كله... العربي الجديد لا يعرف شيئا عن سيف الدولة الحمداني والمنبئي وهارون الرشيد والمامون وصقر قريش والسموال وهماين بن مسعود الشيباني ولا عمر المختار ولا يوسف العظمة ولا سعد زعول ولا عبد القادر الجزائري... لكنه يعرف حمد بن خليفة وتميم ونبيل العربي وعمرو موسى وأبو مجع وبندر وعنتر ونابف وسعد الحريزي ومحمد مرسي وسيمر جتعب وأبو بلال السلجوقي وداود أوغلو واسماعيل هنية... والعربي الجديد لا يعرف ما قاله ابن سينا والفارابي بل ما يقوله عزمي بشارة وعلى الظفيري... ولا يعرف عن الخساء وزينب، لكنه يعرف مرح بقايا ومرح تاتاسي... ولا يعرف عن الكندي وابن خالويه وعروة بن الورد شيئا لأنه ينتقم على يد فيصل القاسم وخديجة بن قتة وكريشان وو... ولا يعرف من هو ابن رشد ولا ابو حيان التوحيدي ولا البخاري ولا مسلم ولا جعفر الصادق، بل يعرف ابن عثميين والعريفي وابن تيمية ومحمد بن عبد الوهاب وعمرو خالد والعروع... والعربي الجديد مخلوق لا هيمة له ولا شك ول لا لون له ولا طعم ولا رائحة له سوى رائحة العنف والكرهامة والغياء والجسغ الحرام في حفلات النكاح المبهشري التي فضحت عقدة جنسية مكبوتة كانت تبحث عن بطلق سراخها كهيمة حبسية باي فتوى من مفاق ومفقد عليا لدى الشعوب الشرقية...

العربي الجديد هو العربي الداعشي وعربي جبينة النصرة الذي يقلع الرؤوس ويتسلى بجمع الجماجح والعظام ونحر الإعناق أمام الكاميرات ويملك القلوب البومية وينبش القلوب الكاضع الجائع، فيما غيره يقطف النجوم والكواكب في الممارات... العربي الجديد هو العربي